المتن

3-الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله - سبحانه وتعالى.

الشرح

أنه أي تفسيرُ المعيةِ بالاختلاطِ والحلول مُستلزمٌ لوازمَ باطلة لا تليقُ بالله ؛مثالُ ذلك: إذا كان الإنسانُ في مكانٍ قذرٍ ؛كالحَّمام وقلنا: إن معنى كونه معنا أنه في مكاننا؛ يلزم أنَّ اللهَ- سبحانه وتعالى- أن يكون في هذه الأماكنِ القذرةِ ؛ والعياذُ بالله تعالى وهذا لازمٌ من أبطل اللوازم ومعلومٌ أنَّ بُطلانَ اللازمِ يدلُ على بُطلان الملزوم ضرورة.

المتن

ولا يمكن لمن عرف الله - تعالى - وقَدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطًا بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك، ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب - جل وعلا.

الشرح

فاللغة العربية لا تقتضي أن يكونَ اللهُ تعالى معنا في الأرض؛ فضلًا على أن تكون تستلزم ذلك وهم يقولون: إنها تستلزمُ ذلك. ومن أجل هذا رَمَونا بأننا نؤولُ نصوصَ المعيةِ.

المتن

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم، علمًا وقدرة، وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

الشرح

انتبه لقوله"مع خلقه معية تقتضي أن يكون"لتعرف الفرق بين المُقتضِي والمُقتضَى.فالعلم والسمع والبصر والقدرة والسلطان والتدبير؛هذه ليست هي المعية ولكنها من مُقتضيات المعية والمقتضَى غيرُ المُقتضِي. فإذا كانَ اللهُ معنا اقتضى أن يكونَ عالمًا بنا سميعًا لأقوالنا بصيرًا بأفعالنا قديرًا علينا له السُلطة ُالكاملة ُوالتدبير والتصرف.أما المعية حقًا فقد سبق لنا أنها معية ٌتليقُ به-سبحانه وتعالى-وهي لاتستلزم بل ولا تقتضي أن يكونَ معنا في الأرض.

المتن

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقًا، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبدًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّه في الفتوى الحموية ص103 ج5 من مجموع الفتاوى لابن قاسم: "ثم هذه المعية تختلف أحكامُها بحسب الموارد، فلما قال"يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا" إلى قوله"وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَاكُنْتُمْ" دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه

المعية ومقتضاها أنه مُطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمنٌ عالم بكم، هذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه.

الشرح

يقول دلَّ ظاهر الخطابِ على أن حُكمَ هذه المعيةِ؛ ولم يقل: إن هذه المعية بل قال "حُكمُ هذه المعيةِ ومُقتضاها" إنه مطلعٌ عليكم شهيدٌ عليكم مُهيمنٌ عالمٌ بكم وهذا معنى قول السلفِ إنه معكم بعلمه.

المتن

وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله "مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ". إلى قوله "هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا" الآية.

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار"لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ معنا"[التوبة: 40] ؛كان هذا - أيضًا - حقًا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد.

الشرح

وهذه معيةٌ خاصةٌ.إذًا فالمعية تختلفُ أحكامُها ومُقتضياتها بحسب ما تُضافُ إليهِ. فالعامة مُقتضاها إيش؟ الإحاطة بالخلقِ علمًا وقدرة وسلطانًا والخاصةُ مُقتضاها مع الإحاطةِ النصرُ والتأييدُ.

المتن

ثم قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر. فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب - عز وجل - مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها. ا.هـ

الشرح

وهذا ردٌ واضحٌ على أهلِ التعطيل الذين يقولون:إنَّ ظاهرها ؛أن اللهَ مُختلطٌ بالخلق وأن صرفها عن هذا الظاهرُ تاويلٌ. فأنتم يا أهل السُنة قد أوَّلتم.هنا يقول المؤلف إما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشتركٍ بين جميع مواردها وإن امتاز كلُ موضعٍ بخاصيةٍ فعلى التقديرين.

ما الفرق بين التقديرين؟ الفرق بينها أنه على التقدير الأول:تكون دلالتُها في كل موضعٍ مُستقلة لا يُشاركها في الموضع الآخر. أما على التقدير الثاني:فتكون مُشتركةٌ في المواضع في أصل المعنى ويمتازُ كلُ شيءٍ بما يختصُ به. فالمعيةُ مُثلا إذا قلتَ:اللهُ تعالى مع المتقين وقلتَ:هذا الرجلُ مع صاحبه ؛هل نقول: إن المعيةَ هنا واحدةٌ في الأصل؛ ولكن تمتازُ معيةُ اللهِ بمزايا لاتوجد في معية المخلوق وتمتازُ معيةُ المخلوق بمزايا لا توجد في معية الله؟ أو نقول: إن معيةَ اللهِ لها معنىً مُستقلٌ؛ لاتُشاركها فيها معية المخلوق إطلاقًا ؟

يقولُ المؤلفُ:على التقديرين لاتدلُ الآية على أن اللهَ مُختلطٌ بالخلق لأن مثل هذه الكلمات التي تختلفُ بحسب الإضافات يرى بعضُ أهل العلماءِ أنها مُشترَكَةٌ من باب

الاشتراك اللفظي ويرى آخرون أنها غيرُ مشتركةٍ هي ليست من الألفاظ المشتركة بل هي متواطئةٌ لكن تتميزُ دلالتها بحسبِ ماتُضافُ إليه وهذاالقولُ الثاني هوالصحيح.
إلا أني لا أدري هل فهمتم الفرق بين هذا القول وبين القول الذي قبله؟ يقول بعض العلماء إن مثل هذه الكلمات التي تختلف بحسب الإضافات؛ إنها من باب المُشترك اشتراكًا لفظيًّا بحيثُ لاتتفق أفرادُه في معنىً من المعاني. ويقول آخرون بل هي من باب المُتواطئ يعني الذي اتفقت أفراده في أصل المعنى لكن تختلف بحسب ماتُضافُ إليه.
فنُمثل أولًا للمشترك اللفظي حتى تعرفوا الفرق بينه وبين المعنى الثاني. المشترك اللفظي كلمة"عين" تُقال للعين الجارية ؛ وتُقال للذهب يُسمى عينًا ؛ وتُقالُ للشمس تسمى عينًا وتُقالُ أيضًا للعين الباصرة تسمى عينًا, تجدون هذه الأشياء الأربعة اتفقت كلها في أنها تُسمى"عين" هل بينها معنىً جامعٌ مشتركٌ ولا لأ؟ أو كل واحد مستقلٌ عن الآخر؟ الجواب: كلُ واحدٍ مستقلٌ فالشمس لاترتبط مع العين الجارية بمعنى من المعاني ولا مع العين الباصرة بمعنىً من المعاني فالاشتراكُ إذن لفظيٌ ولا معنويٌ؟ لفظي اشتركت في اللفظ لكن في المعنى متباينة تمامًا.

كلمة"المعية"هل هي من باب المشترك اشتراكًا لفظيًّا ؛بمعنى أن معية الله لا يمكن أن تُشارك معية المخلوق ولا في أصل المعنى؟ يرى بعضُ العلماء هذا ؛وأن كان ما أُضيفَ إلى الله مما له مُسمىً في المخلوق فهو من باب الاشتراك اللفظي ولاتتفق في أصل المعنى أبدًا مع ما يختصُ للمخلوق.
ويرى آخرون أنها من باب اللفظ المتواطئ .المتواطئ يعني المتفِق لكنها متفقة في أصل المعنى مختلفة في حقيقته وكيفيته بحسب ما تُضافُ إليه. فيقولون مثلاً؛ المعية بالنسبة للمخلوق والخالق متفقةٌ في أصل المعنى ؛ وهو المُصاحبة والمقارنة؛ لكن تختلفُ بحسب

الإضافة. فالمعية المُضافة لله ليست كالمعيةِ المضافةِ للمخلوق ؛ كما نقول مثلا السمع؛ للمخلوق سمعٌ ولله سمعٌ هل نقول إن سمعَ اللهِ متميزٌ تمامًا عن سمعِ المخلوق بحيثُ لا يُشاركه في أصل المعنى أو نقول هو مشاركٌ له في أصل المعنى لكن يختلف؟ الثاني هو الأصح. ولهذا صحح شيخُ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية أن الصحيح أنها من المتواطئ لكنها نوعٌ خاصٌ منه لا تتساوى أفراده.